مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (٢) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (2) 2025

تشكيلاتُ الفاصلةِ القرآنيَّةِ وأثرُها الجماليُّ–جزء (عمَّ) أنموذجاً

د. منال ناصر*

هديل محيى علي**

(تاريخ الإيداع ٢٠٢٤/١١/١٨. قُبِل للنشر في ٢٠٢٥/٤/١٥)

□ ملخّص □

لقد اعتنى النَّصُّ القرآنيُّ بالجِرْسِ والإيقاعِ اعتناءَهُ بالمعنى، والفاصلةُ القرآنيَّةُ ركنٌ أساسيٌّ في تكوينِ بنيتِهِ الإيقاعيَّةِ، إذ لم تأتِ الفواصلُ عبثاً في القرآنِ الكريمِ، بل جاءتْ متَّصلةً بظواهرِ النَّظمِ القرآنيّ الإيقاعيَّةِ والدَّلاليَّةِ، فهي مظهرٌ من مظاهرِ الإعجازِ البيانيّ، وسرٌّ من أسرارِ التَّعبيرِ الحكيمِ، ولذا سعى هذا البحثُ إلى بيانِ أهميَّةِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ ودورِها البارزِ في تمييزِ نظمِ القرآنِ عمَّا سواه، حيثُ إنَّها تؤثِّرُ على المضمونِ بدلالاتِها، وعلى الإيقاعِ بمقاطعِها، فيتمُّ بها المعنى، وتستريحُ لها النَّفسُ، ويبدأُ البحثُ بالإشارةِ إلى المعنى اللُّغويّ للفاصلةِ القرآنيَّةِ، ثمَّ الوقوف على معناها الاصطلاحيّ الذي حظي باهتمامِ علماءِ اللُّغةِ، وأفردوا له أبواباً في كتبِهم، ثمَّ يقدِّمُ البحثُ حديثاً عن أنواعِ الفواصلِ، ويليها حديثٌ عن علاقةِ الفاصلةِ بقرينتِها، مع ذكرِ شواهدَ من آياتِ جزءِ (عمَّ)، وينتهي البحثُ بخاتمةٍ تعرضُ أهمَّ النتائجِ التي تمَّ التوصلُ إليها فيما يتعلَّقُ بالفاصلةِ القرآنيَّةِ.

الكلمات المفتاحية: الفاصلة القرآنية، جزء عمَّ، الأثر الجمالي.

*أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سورية.

**طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (٢) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (2) 2025

The formations of Quranic punctuation and their aesthetic– Juz' (Amma) as a model

Dr. Manal Nasser*
Hadeel Mohia Ali**

(Received 18/11/2024. 15/4/2025)

□ ABSTRACT□

The Quranic text has given great attention to rhythm and sound as it has to meaning. The Quranic pause is a fundamental component of its rhythmic structure. The pauses in the Holy Quran are not arbitrary; rather, they are connected to the rhythmic and semantic phenomena of Quranic composition. They represent a manifestation of eloquent miraculousness and a secret of wise expression. Therefore, this research aims to highlight the importance of the Quranic pause and its prominent role in distinguishing the Quran's structure from others, as it affects the content through its meanings and the rhythm through its segments. This facilitates comprehension and brings comfort to the soul. The research begins by referring to the linguistic meaning of the Quranic pause, then discusses its technical meaning, which has attracted the attention of linguists who dedicated sections to it in their books. It then presents a discussion on the types of pauses, followed by a discussion on the relationship between the pause and its counterpart, including examples from verses of the (Amma) section. The research concludes with a summary of the key findings related to the Quranic pause.

Key words: Quranic pause, Juz' Amma, aesthetic impact.

* Assistant professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tartous University, Syria.
** Master's student in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tartous University, Syria.

المقدمة

لا يخفى على أحدٍ تميُّز النَّصّ القرآنيّ بوصفِهِ بنيةً متماسكةً، بأسلوبِهِ البلاغيّ المعجزِ، وفصاحتِهِ التي لا نظيرَ لها، فهو يؤثّرُ في المتلقّي إثرَ سماعِهِ وتلاوتِهِ؛ لما يحتويهِ من مزايا أسلوبيَّةٍ وخصائصَ فنيَّةٍ ومؤشّراتٍ جماليَّةٍ تجعلُهُ متفرّداً في البلاغةِ والفصاحةِ والأسلوبِ حدَّ الإعجازِ، فسورُهُ مفعمةٌ بالظواهرِ التي تأخذكَ إلى تحليلِ الأفكارِ والأحوالِ والمعاني، وصولاً إلى الفهمِ التَّامّ والإدراكِ الصَّحيحِ لتفسيرِ الآياتِ وأحكامِها، والفاصلةُ القرآنيَّةُ إحدى هذهِ الظَّواهرِ المرتبطةِ بأسلوبِ النَّصّ القرآنيّ ارتباطاً وثيقاً، ومن هذا المنطلقِ عمدَ البحثُ إلى دراسةِ الفاصلةِ القرآنيةِ، واستقى مادَّتَهُ التَّطبيقيَّةَ من سورِ جزءِ (عمَّ)، وهو الجزءُ الثلاثون من كتابِ اللهِ العزيزِ، إذْ يشكّل هذا الجزءُ ميداناً رحباً للبحثِ؛ لاحتوائِهِ على سبعٍ وثلاثينَ سورةً قصيرةً تمثّلُ أنموذجاً دلالياً رفيعاً على تشكيلاتِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ وأهمّيتها ضمن السّياقِ.

أهميَّة البحث وأهدافُهُ

تتجلَّى أهميَّةُ هذا البحثِ انطلاقاً من أهمّيَّةِ النَّصّ القرآنيّ في الدراساتِ اللُّغويَّةِ، فهو الأصلُ الأوَّلُ من أصولِ العربيَّةِ، لما فيهِ من جمالِ المباني وجلالِ معانيها، وبناءً على ذلكَ، ينطلقُ البحثُ من هاجسِ الكشفِ عن أهمّيَّةِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ وجماليَّتها في النَّصّ القرآنيّ، نظراً إلى كونِها ظاهرةً خاصَّةً بآياتِ القرآنِ الكريم، ولها ارتباطٌ وطيدٌ بالأبعادِ الإيقاعيَّةِ والدّلاليَّةِ والتَّأثيريَّةِ للآياتِ، فكانتْ إحدى العواملِ التي انطلقَ منها النَّصُّ القرآنيُّ لمخاطبةِ عقولِ المتلقّين، والتَّأثيرِ فيهم، وأسرِ قلوبِهم، واستمالتِهم إلى دائرةِ الانبهارِ والدَّهشةِ والإقناعِ، وبناءً على ذلكَ، يهدفُ البحثُ إلى الوقوفِ على تشكيلاتِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ والتَّعريفِ بها، وبيانِ جماليَّتها في لغةِ القرآنِ الكريمِ من الناحيتينِ الإيقاعيَّةِ والدّلاليَّةِ.

الدِّراسات السَّابقة

لم تقم هذهِ الدِّراسةُ على عودِها من دونِ دراساتٍ سابقةٍ، بل كانَ للدِّراساتِ السَّابقةِ المتعلّقةِ بدراسةِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ أثرٌ في بنائِها واكتمالِها، ومن هذهِ الدِّراساتِ:

1-بلاغة الفاصلة القرآنية في سورة الرَّحمن (2013-2014م): رسالة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب والعربي للباحثتين: أميرة دحماني وتسعديت داود، جامعة البويرة، الجزائر.

2-الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية دراسة تطبيقية على سورة النساء (2007م): بحث مقدم استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن للباحث: موسى مسلم سلام الحشاش، الجامعة الإسلامية، غزة.

3-المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية في سور جزء عمَّ (2012م): رسالة مقدمة استكمالاً لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن للباحث: عصام أسعد أحمد، الجامعة الإسلامية، غزة.

4-الفاصلة في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً (2019-2020م): مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس للباحثتين: أسماء ملوك وفاطمة الزهراء طبال، جامعة البويرة، الجزائر.

5- الجرس والإيقاع وأهميتهما البلاغية والدلالية في الفاصلة القرآنية (2015م): بحث للدكتور بشير سالم فرج، كلية الآداب، جامعة بيروت العربية.

6-مناسبة الفاصلة القرآنية لآيات الأحكام (2017م): أطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن للباحث: عيسى خليل صالح القسيم، جامعة اليرموك.

منهج البحث

سيعتمدُ البحثُ في بنائِهِ المنهجَ الوصفيَّ التَّحليليَّ، فهو المنهجُ الأنسبُ لتوصيفِ الظَّاهرةِ المدروسةِ وعرضِ أنواعِها وعلاقاتِها، ثمَّ تحليلِ هذهِ الظَّاهرةِ وتدعيمِها بالشواهدِ، وصولاً إلى الكشفِ عن أثرِها الجماليّ، ودورِها في تقويةِ الدِّلالةِ وتأثيرِها الصَّوتيّ، فينطلقُ هذا المنهجُ من الدراسةِ السطحيَّةِ للظَّاهرةِ ثمَّ ينتقِلُ إلى دراسةِ أبعادِها العميقةِ.

الفاصلةُ القرآنيَّةُ:

الفاصلةُ لغةً: جاءَ في مادَّةِ (ف ص ل) ما يلي:

قالَ (ابن فارس ت395هـ): "الفاء والصّاد واللام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تمييزِ الشَّيءِ منَ الشَّيءِ وإبانتِهِ عنهُ"[1]، وقالَ (الأزهري ت370هـ): "فصَّلتُ الوشاحَ: إذا كانَ نظمُهُ مفصَّلاً بأن يجعلَ بينَ كلّ لؤلؤتين مرجانة أو شذرة أو جوهرة تفصلُ بينَ اثنتينِ من لونٍ واحد ... وقولُ اللهِ جلَّ عزَّ:﴿**بِكِتَابٍ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ{٣}**﴾[فصلت]، لهُ معنيان: أحدهما تفصل آياتُهُ بالفواصلِ والمعنى الثَّاني فصَّلناهُ: بيَّنَّاهُ، وقولُهُ جلَّ وعزَّ ﴿**آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ{١٣٣}**﴾[الأعراف] بينَ كلِّ آيتين مُهْلةْ، وقيلَ مُفصَّلات مُبيَّنات... والفصلُ: بونُ ما بينَ الشيئين، والفصلُ منَ الجسد: موضعُ المَفْصل... والفصلُ: القضاء بين الحقِّ والباطل"[2].

الفاصلة اصطلاحاً:

ذكرَ (أبو عمرو الداني ت444هـ) أنَّ الفاصلةَ هي آخرُ كلمةٍ في الآيةِ[3]، وعرَّفها (أبو الحسن الرُّماني ت386هـ) قائلاً: "حروفٌ متشاكلةٌ في المقاطعِ توجِبُ حسنَ إفهامِ المعاني، والفواصلُ بلاغةٌ والإسجاعُ عي"[4]، أمَّا (أبو بكر الباقلاني ت403هـ) فقد عرَّفها بقولِهِ: "حروفٌ متشاكلةٌ في المقاطعِ، يقعُ بها إفهامُ المعاني وفيها بلاغة، والأسجاعُ عيبٌ؛ لأنَّ السَّجعَ يتبَعُهُ المعنى، والفواصلُ تابعةٌ للمعاني"[5]، وقالَ (ابن منظور ت711هـ): "أواخرُ الآياتِ في كتابِ اللهِ فواصلُ بمنزلةِ قوافي الشِّعرِ، جلَّ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، واحدتُها فاصلة"[6]، وعرَّفها (الزركشي ت794هـ) بقولِهِ: "هي كلمةُ آخرِ

---

[1] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتوزيع– دمشق، سوريا، مج15، ج4، 1979م، ص505.

[2] تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تح: أحمد عبد العليم البردوني، راجعهُ: علي محمد البجاوي، الدار المصريَة للتأليف والترجمة– القاهرة، ج12، 1384هـ–1964م، ص193–194.

[3] ينظر: البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو الداني، تح: د. غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق–الكويت، ط1، 1414هـ، 1994م، ص109.

[4] النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني، تح: محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف–مصر، ط3، 1975م، ص97–98.

[5] إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر–القاهرة، ط3، 1971م، ص270–271.

[6] لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر– بيروت، مج11، مادة فصل، د ت، ص524.

الآيةِ كقافيةِ الشِّعرِ وقرينةِ السَّجعِ"[١]، وقد ذكرَ(السيوطي ت911هـ) في كتابِهِ (الإتقان في علوم القرآن) التَّعريفَ ذاتَهُ[٢]. نلاحظُ من خلالِ هذهِ التَّعريفاتِ أنَّ (الداني ت444هـ) قد أشارَ بشكلٍ واضحٍ إلى أنَّ الفاصلةَ هي الكلمةُ الأخيرةُ من كلِّ آيةٍ، أمَّا (الرُّماني ت386هـ) فهو يرى أنَّ الفواصلَ تتبعُ المعاني ولا تكونُ مقصودةً في نفسِها، أمَّا السَّجعُ تتبعُهُ المعاني فهو الذي يقصدُ في نفسِهِ ثمَّ يُحملُ المعنى عليهِ، وقد ذهبَ هذا المذهبَ أبو بكر الباقلاني وأصحابهُ، أمَّا (الباقلاني ت403هـ) فيرى أنَّ الفاصلةَ حروفٌ ومقاطعٌ متوافقةٌ وهي وسيلةٌ من وسائلِ توضيحِ المعنى، حيثُ ربطَ الفاصلةَ بدورِها في إبرازِ المعنى وتوضيحهِ ممَّا يحقِّقُ التَّجانسَ بينَ مضمونِ الآيةِ والتَّعقيبِ الذي ينتهي بِهِ، أمَّا (ابن منظور) و(الزركشي) و(السيوطي) فقد شبَّهوا الفاصلةَ بقافيةِ الشِّعرِ وقرينةِ الوزنِ، وهم في ذلكَ يركِّزونَ على الجانبِ الإيقاعيّ للفاصلةِ.

قالَ (الباقلاني ت403هـ) أيضاً: "...ثمَّ الفواصلُ قد تقعُ على حروفٍ متجانسةٍ، كما قد تقعُ على حروفٍ متقاربةٍ"[٣]، وعليهِ تصبحُ الفواصلُ عندهُ مبنيَّةً على الحرفِ الأخيرِ منَ الآيةِ.

أمَّا (أبو عمرو الداني ت444هـ) فيفرِّقُ بينَ الفواصلِ ورؤوسِ الآي قائلاً: "الفاصلةُ هي الكلامُ التَّامُّ المنفصلُ ممَّا بعدَهُ، والكلامُ التَّامُّ قد يكونُ رأسَ آيةٍ، وكذلكَ الفواصلُ يكنَّ رؤوسَ آيٍ وغيرَها، فكلُّ رأسِ آيةٍ فاصلةٌ، وليسَ كلُّ فاصلةٍ رأسَ آيةٍ"[٤]، إذ يتَّضحُ منْ خلالِ هذا التَّعريفِ أنَّ(الداني) يقصدُ برأسِ الآيةِ آخرَها، وهو بذلكَ يردُّ على الذينَ قالوا بأنَّ الفواصلَ هي نهاياتُ الكلماتِ، ونستخلصُ من تعريفِهِ أنَّ الفاصلةَ عندَهُ تتحدَّدُ بنهايةِ المعنى وليسَ بنهايةِ الآيةِ، فقد ينتهي المعنى عندَ آخرِ الآيةِ وهو الغالبُ في القرآنِ، وقد ينتهي قبلَ ذلكَ، وقدْ كانَ مصيباً عندما أشارَ إلى ارتباطِ الفواصلِ بالمعاني، فأغلبُ فواصلِ القرآنِ جمعت بينَ نهايةِ الآيةِ وكمالِ المعنى إلَّا في حالاتٍ نادرةٍ.

وإلى كونِ الفاصلةِ هي رأسُ الآيةِ ذهبَ (الزركشي) في قولِهِ: "وتقعُ الفاصلةُ عندَ الاستراحةِ في الخطابِ، لتحسينِ الكلامِ بها وهي الطريقةُ التي يُبانُ القرآنُ بها سائرَ الكلامِ"[٥]، ويُفهمُ من هذا أنَّهُ يربطُ الفواصلَ بالوقفِ، والوقفُ مرتبطٌ عادةً برؤوسِ الآي، ويعلِّلُ لتسميةِ الفواصلِ بأنَّهُ ينفصلُ عندها الكلامان، وذلكَ أنَّ آخرَ الآيةِ فصلٌ بينها وبينَ ما بعدِها[٦]، أمَّا سببُ تسميةِ العلماءِ لأواخرِ الآياتِ بالفواصلِ فهوَ تمييزٌ للقرآنِ عن غيرِهِ من فنونِ الكلامِ، وهذهِ التَّسميةُ ربَّما جاءَ مستندُها في القرآنِ نفسِهِ، بقولِهِ تعالى في الآيةِ الكريمةِ: ﴿**الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ{١}**﴾[هود]، وغيرِها من الآياتِ التي وردَ فيها هذا المعنى.

أنواع الفواصل:

---

[١] البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث–القاهرة، ج1، 1427هـ، 2006م، ص53.

[٢] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد–السعودية، ج5، د ت، ص1784.

[٣] إعجاز القرآن: الباقلاني، ص271.

[٤] البيان في عد أي القرآن: أبو عمرو الداني، ص126.

[٥] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص50.

[٦] ينظر: المصدر السابق: الصفحة نفسها.

تعدَّدت تقسيماتُ الفواصلِ عندَ العلماءِ والدَّارسين، ومنها تقسيمُ الفواصلِ بحسبِ حرفِ الرّوي وهي[1]:

❖ الفواصل المماثلة:

"وتسمَّى كذلك المتجانسة أو ذات المناسبة التّامَّة، فهي التي تماثلت حروفُ رويّها"[2]، كالفواصلِ في الآياتِ الكريمةِ من قولِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ{١} وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ{٢} وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ{٣} وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ{٤} وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ{٥} وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ{٦} وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ{٧} وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ{٨} بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ{٩} وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ{١٠} وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ{١١} وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ{١٢} وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ{١٣} عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ{١٤}**﴾[التكوير]، فقد تماثلت نهاياتُ الآياتِ، وارتكزَ نسقُها على رويٍّ واحدٍ وهوَ حرفُ التَّاءِ السَّاكنِ وهو "صوتٌ شديدٌ مهموسٌ"[3]، فيحقِّقُ الهمسُ أزيزاً فيهِ شدَّةٌ مرعبةٌ تهزُّ النُّفوسَ، وهذا ما نلاحظهُ بوضوحٍ عندَ قراءةِ الكلماتِ الآتيةِ وسماعِها، وهي: (كُوِّرَتْ، انكدرتْ، سُيِّرتْ، عُطِّلَتْ، حُشِرَتْ، سُجِّرَتْ، زُوِّجت، سُئِلتْ، قُتِلَتْ، نُشِرَتْ، كُشِطَتْ، سُعِّرَتْ، أُزلِفَتْ، أحضرَتْ)، إذ إنَّ اتِّفاقَ هذهِ الفواصلِ بحرف الرّوي جاءَ من غيرِ اضطرابٍ ولا قلقٍ، بل جاءَ متناسِباً تناسباً سلساً يطَّردُ معَ الإيقاعِ الخاصِّ للكلماتِ وما يرافقُ ذلكَ من تأثيرٍ نفسيٍّ عندما تُتلى هذهِ الآياتُ على الأسماعِ، ولا سيَّما أنَّ هذهِ الأفعالَ قد بُنيتْ للمجهولِ، أي لمْ يُسمَّ فاعلها، ولهذا أهميَّةٌ بلاغيَّةٌ ومعنويَّةٌ تتمثَّلُ في التَّركيزِ على عظمةِ الحدثِ بدلاً من الفاعلِ، وإبرازِ المشهدِ وتهويلِهِ، وتصويرِ قدرةِ اللهِ ومشيئَتِهِ فهو المتصرِّفُ في كلِّ شيءٍ.

لقد خلقَ هذا التَّماثلُ في الفواصلِ معَ قصرِ الآياتِ إيقاعاً قويَّاً يتلاءمُ معَ المعنى المقصودِ، وهو معنى القوَّةِ والشِّدَّةِ في وصفِ العذابِ وتصويرِ أحوالِ الناسِ والكونِ يومَ القيامةِ كذهابِ ضوءِ الشَّمسِ وتناثرِ النجومِ وتغيُّرها وإزالةِ الجبالِ من أماكنها ونسفِها وإرسالِ الريحِ الدّبور التي توقدُ البحارَ وتصيرُ ناراً تتأجَّجُ وإيقادِ النَّارِ بسببِ غضبِ اللهِ وخطايا بني آدم وتقريبِ الجنةِ إلى أهلها وغيرِ ذلكَ من الأمورِ العظيمةِ التي إذا وقعتْ حينئذٍ تعلمُ كلُّ نفسٍ ما عملتْ وأحضرت ذلكَ لها[4]. كما أفادَت صيغُ الأفعالُ التي شكَّلَتْ فواصلَ الآياتِ في تصويرِ هذهِ الأمورِ وإيصالِ المتلقِّي إلى المعنى المقصودِ والدَّلالةِ المعنيَّةِ، فممَّا يميِّزُ النَّصَّ القرآنيَّ هو دقَّةُ التَّمييزِ بينَ معاني الكلماتِ المترادفةِ من أجلِ أن تؤدِّي كلُّ واحدةٍ منها دورَها المناسبَ في السِّياقِ القرآنيِّ، أما بناءُ الأفعالِ للمجهولِ وعدمُ تسميةِ فاعلِهِ فذلكَ لأنَّ الفاعلَ وهو اللهُ جلَّ جلالهُ معلومٌ، ومن المعروفِ أنَّ هذا الفعلَ لا يقضيهِ إلَّا عظيمُ القدرِ وهو اللهُ سبحانهُ، ولا شريكَ لهُ في ذلكَ.

وقد شكَّلَ تتابعُ الأفعالِ إيقاعاً سريعاً قصيراً شديداً ذا نغماتٍ عاليةٍ، والنفسُ الإنسانيَّةُ تأنسُ بالإيقاعِ النَّغميِّ لمفرداتِ وجملِ القرآنِ الكريمِ، ولعلَّ هذا الأمرَ مرتبطٌ بالتكوينِ الدَّاخليِّ للنَّفسِ البشريَّةِ التي تأنسُ بالتَّوقيعاتِ الصوتيَّةِ المتجاوبةِ والمساحاتِ الزمنيةِ المتساويةِ، كما هو الحالُ في هذهِ الآياتِ الكريمةِ من سورةِ (التَّكوير)، وكذلكَ أسهمَ تقديمُ الفاعلِ على فعلِ الشَّرطِ في كلِّ تركيبٍ منها في إحداثِ دفقاتٍ موسيقيَّةٍ متتابعةٍ، تجذبُ انتباهَ السامعِ لتأمُّلِ تماثلِ الفواصلِ النَّاتجِ عن هذا التَّقديمِ، وإنعامِ النَّظرِ في مضمونِ هذهِ الآياتِ والتَّفكُّرِ في أهوالِ يومِ القيامةِ، إذن فالفواصلُ

---

[1] ينظر: المصدر السابق: ج1، ص61–62.

[2] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار للنشر والتوزيع–عمان، ط2، 1421هـ، 2000م، ص145.

[3] الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها –مصر، د ت، ص53.

[4] ينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم للطاعة والنشر والتوزيع– بيروت، ط1، 1420هـ، 2000م، ص1963–1966.

المماثلةُ في هذهِ الآياتِ من سورةِ (التَّكوير) أدَّت دوراً بارزاً في خدمةِ النَّسقِ من خلالِ إغناءِ الإيقاعِ وتكثيفِ المعنى. ويمكنُ القولُ إنَّ جزءَ عمَّ حافلٌ بالأمثلةِ عن الفواصلِ المماثلة الموزَّعةِ في معظمِ سورِهِ.

❖ الفواصل المتقاربة:

"وتسمَّى ذات المناسبة غير التَّامَّة، فهي التي تقاربت حروفُ رويِّها"[١]،كالفواصلِ في قولهِ تعالى: ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ{٣} ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ{٤}كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ{٥} لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ{٦} ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ{٧} ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ{٨}**﴾[التكاثر]، فالمقاطعُ هنا ليستْ متّحدةً في حرفِ الرّوي؛ بل بينَ الحروفِ تقاربٌ، فـ(النون) و(الميم) حرفان متقاربان؛ لأنَّهما صوتان مجهوران من الأصواتِ المتوسطةِ بين الشِّدَّةِ والرَّخاوةِ[٢]، ولا نفرةَ بينهما في النطقِ، وهذا التَّقاربُ في الصِّفةِ يجعلُ نسقَ القولِ واحداً، وإن لم تتَّحدِ المقاطعُ، وهذا ما يجعلُ كلامَ اللَّهِ تعالى فوقَ كلِّ كلامٍ، فالفاصلةُ ذات أثرٍ صوتيٍّ خاصٍّ، والتَّكرارُ فيها أو تنويعُها والتَّرنيمُ بالمدِّ والنون أو الميم يعطي جمالاً موسيقياً مميَّزاً، فحرفُ (النُّون) هو أكثرُ الحروفِ استعمالاً في الفواصلِ القرآنيَّةِ لأنَّهُ "منَّ الأصواتِ التي يحسنُ السكوتُ عليها للغنَّةِ التي تحصلُ في النّطقِ غناءً أم ترسُّلاً في القولِ، ومن أجلِ هذا لزمتها الفواصلُ القرآنيَّةُ المسجوعةُ"[٣]، ويليهِ حرفُ (الميم)، فهما من الأصواتِ الأنفيَّةِ التي لها نسبةُ وضوحٍ سمعيٍّ أعلى من غيرِها، فليستْ كلُّ الأصواتِ الإنسانيَّةِ على السَّواءِ في نسبةِ الوضوحِ السَّمعيِّ، فبعضُها أوضحُ منْ بعضٍ، وخصوصاً عندَ الوقوفِ الذي ربَّما يُضيِّعُ الحرفَ الأخيرَ[٤]، وللتَّكرارِ في هذهِ الآياتِ دورٌ مهمٌ من الناحيتينِ الصَّوتيَّةِ والمعنويَّةِ، فقد تكرَّرتْ عبارةُ (كلا سوف تعلمون)، وأحدثت وقعاً مؤثِّراً لهُ شأنُهُ في إثراءِ النَّصِّ القرآنِ بالمعاني الوفيرةِ التي تستخلصُ بالتَّفكيرِ وإعادةِ النَّظرِ في قراءةِ الآياتِ، وفي هذا التَّكرارِ تقريرٌ للمعنى في النَّفسِ، ففي كلمة (كلَّا) "ردع وتنبيه على أنَّهُ لا ينبغي للنَّاظرِ لنفسِهِ أنْ تكونَ الدُّنيا جميعَ همِّهِ ولا يهتَّمُ بدينِهِ"[٥]، وفي تكرار (سوف تعلمون) "إنذارٌ ليخافوا فيتنبهوا من غفلتهم، والتَّكريرُ: تأكيدٌ للرَّدعِ والإنذارِ عليهم"[٦]، فقد جاءَتْ هذهِ الفاصلةُ (كلّا سوفَ تعلمون) مكرَّرةً لتدلَّ أنَّ الكلامَ وإنْ كانَ إخباراً عنهمْ فهم المقصودونَ بهِ، والرَّدعُ موجَّهٌ إلى مَنْ غرَّتْهمُ الدُّنيا، والتَّكرارُ الثَّاني أبلغُ من الأوَّلِ وأشدّ، والغالبُ في استعمالِ (كلَّا) أن تُعقَبَ بكلامٍ يبيِّنُ ما أجملتْهُ من الرَّدعِ والإبطالِ، ولذلكَ عُقِّبتْ هنا بقولِهِ (سيعلمون)، والمقصودُ أنَّ الأمرَ الذي ينبغي أن يكونوا عليهِ ليسَ التَّكاثرُ بل طاعةُ اللهِ والإيمانُ بنبيِّهِ (ص)، ولو علمتم حقَّ علمِهِ وصرفتم التَّفهُّمَ إليهِ لارتدعتم، فمن غرَّتْهُم ملذَّاتُ الدُّنيا ونسَوا عبادةَ ربِّهِم وطاعتِهِ، فمصيرُهُم الجحيمُ، إذْ يسألونَ يومَ القيامةِ عن كلِّ ما يُتنعَّمُ بهِ في

---

[١] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص146-147.

[٢] ينظر: الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ص 48-58

[٣] فقه اللغة المقارن: د. إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين- بيروت، ط2، 1978م، ص126.

[٤] ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط2، 1405هـ، 1985م، ص101-102.

[٥] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، شارك في تحقيقه: أ.د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان- الرياض، ج6، ط1، 1418هـ، 1998م، ص425.

[٦] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

الدَّنيا[1]، كما أنَّ تكرارَ كلمةِ (اليقينِ) يؤدّي دوراً مهمّاً في تأكيدِ المقصدِ من الآيةِ والإصرارِ على إيصالِهِ وترسيخِهِ في ذهنِ المتلقّين، فاليقينُ هو تأكيدُ الأمرِ ونفي الشَّكِّ عنهُ، كما أنَّ لورودِها مع كلمةِ (عِلم) في المرَّةِ الأولى، وتكرارِها ثانيةً مع كلمةِ (عين) دلالةً مهمَّةً، فعلمُ اليقينِ هو ما علمَهُ المرءُ بالسَّماعِ والخبرِ والقياسِ والنَّظرِ، أمَّا عينُ اليقينِ فهو ما يشاهدُهُ المرءُ ويُعاينُهُ بالبصرِ، فالنَّاس يعلمونَ بوجودِ الجحيمِ وعذابِها ولكنَّهم لا يرتدعونَ عن أفعالِهم السَّيّئَةِ؛ بل إنَّهم سيندمونَ عندما يرونَها بأعينهم حينَ لا ينفعُ النَّدمُ ولا التَّحسُّرُ، فقد "احتوى الخطابُ القرآنيُّ على تكرارٍ طبيعيٍّ خالٍ منَ التَّكلُّفِ، ويلفيهِ الدَّارسُ في أشكالٍ وأنماطٍ متعدِّدةٍ، تارةً يلفيهِ في العبارةِ، وتارةً يلفيهِ في أجزاءِ العبارةِ: في ألفاظِها وحروفِها، وهو في كلِّ الأحوالِ يُحدِثُ إيقاعيَّةً خاصَّةً يسايرُ فيها مقتضياتِ التَّعبيرِ الفنّيّ والدِّينيّ"[2].

والفواصلُ القرآنيّةُ من مظاهرِ إعجازِ القرآنِ الكريم وذلكَ لما تقدِّمُهُ من إيقاعٍ يسترعي أسماعَ المتلقّين من خلالِ جرسِ ألفاظِها وانسجامِها الصَّوتيّ فضلاً عن دورِها الفعَّالِ في بيانِ المعنى وتجليتِهِ، وهذا لهُ بالغُ الأثرِ في إمالةِ النَّفسِ لتقبُّلِ المعاني والأفكارِ التي جاءتْ بها كلُّ آيةٍ، فالفواصلُ المتقاربةُ في آياتِ سورةِ (التَّكاثر) وما صاحبها من تناغمٍ بينَ صوتي (النون)و(الميم) مسبوقين بحرفِ المدِّ (الياء) خلقَ إيقاعاً خاصَّاً تمثَّلَ في انسيابِ الآياتِ انسياباً متناسقاً على نظامٍ اختصَّ بهِ القرآنُ الكريم فهوَ كتابُ الهدايةِ والإرشادِ والوعظِ فجاءَ نظمُهُ متناغماً مؤثّراً بالمتلقين تأثيراً قويّاً.

❖ الفواصلُ المنفردة:

"وهي نادرة، فهي التي لم تتماثلْ حروفُ رويّها ولم تتقاربْ، كالفاصلةِ التي ختمتْ بها سورةُ(الضُّحى)"[3]، والفاصلة التي ختمتْ بها سورة (العلق)، وهي قولُهُ تعالى:﴿**كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ{١٩}**﴾[العلق]، إذ لا توجد فاصلةٌ على حرفِ الباءِ في تلكَ السُّورة، والمتلقي عندما تتابعُ أمامَهُ فواصلُ السُّورةِ على رويٍّ واحدٍ بسلاسةٍ وطلاوةٍ ثمَّ تردُ آيةٌ بفاصلةٍ منفردةٍ يختلفُ رويها عن غيرها من الفواصل، فإنَّ هذا لهُ أثرٌ كبيرٌ من النَّاحيةِ الصَّوتيةِ المؤثرةِ في الأسماعِ بطريقةٍ تستوقفُ المتلقي وتثيرُ انتباههُ وتشغلُ عقلهُ بالتَّفكير في سببِ ورودها مختلفةً مستقلَّةً برويّها، وغالباً ما تكونُ الآيةُ المختومةُ بفاصلةٍ منفردةٍ حاملةً لموعظةٍ أو حكمةٍ استُخلصتْ من الآياتِ السَّابقةِ لها وكأنَّها تومِئُ بانتهاءِ السُّورةِ، والمعنى المقصودُ من هذا الآيةِ بفاصلتها المنفردةِ هو قولُ اللهِ لسيدنا محمَّد بألا يطيعَ مَنْ ينهاهُ عنِ المداومةِ على العبادةِ وكثرتِها، وأن يصلّي حيثما شاءَ فاللهُ يحفظهُ وينصرهُ ويعصمُهُ منَ النَّاسِ، وأنَّ أقرب ما يكونُ العبدُ منْ ربِّهِ وهو ساجدٌ، فعلى الإنسانِ الإكثارُ منَ الدُّعاءِ[4]، إذْ استُعمِلَ فعلُ الأمرِ لتُختمَ بهِ الآيةُ والسَّورةُ كاملةً، متناسباً معَ تدرُّجِ أفعالِ الأمرِ السَّابقةِ لهُ، إذ بُدِءَ الأمرُ بألَّا يطيعَ الرَّسولُ مَنْ يُبعِدُهُ عنِ العبادةِ، ثمَّ أُمِرَ بأنْ يسجدَ متضرّعاً إلى الله، وخُتمَ الأمرُ بأن يتَّقرَّبَ الرَّسولُ من اللهِ تعالى بالمثولِ بينَ يديهِ والدُّعاءِ لهُ، وقد حملَ هذا التَّدرجُ إيقاعاً متناسباً معَ حالةِ الوعظِ والإرشادِ، إذْ جاءتْ صيغةُ الأمرِ بأسلوبٍ لطيفٍ ملؤُهُ الرحمةُ والرأفةُ، فالله تعالى يوجّهِ الكلامَ لرسولهِ وللعبادِ أجمعين، ويُذكرُهم بوجودهِ ملجأً عطوفاً وملاذاً رحيماً.

---

[1] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب–بيروت، ج5، ط1، 1408هـ، 1988م، ص357–358.

[2] التراث العربي: الفاصلة القرآنية وجماليتها في القرآن الكريم: أ. محمد حرير، مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب – دمشق، العدد 9–100، تشرين الأول 2005، ص335.

[3] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص148.

[4] ينظر: تفسير القرآن الكريم: ابن كثير، ص2012.

وإنَّ المغايرةَ في استعمالِ فعلِ الأمرِ ليكونَ فاصلةً مخالفةً للفواصلِ السَّابقةِ في رويِّها مع المحافظةِ على الجوِّ العامِّ للسُّورةِ صوتيًّاً ودلاليًّاً، هي من صورِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ وخصوصيَّةِ أسلوبِهِ، فالكلامُ عموماً إذا جرى على الوتيرةِ نفسِها، فممَّا لا شكَّ في ذلكَ أنَّهُ يدعو إلى إثارةِ الملِ في النَّفسِ البشريَّةِ، لذا كانَ من شأنِ تماثلِ الفواصلِ حيناً، وتقاربِها حيناً آخرَ، وحضورِها في القرآنِ الكريمِ على أنواعٍ متباينةٍ أن يثيرَ انطباعاً حسناً ويؤثِّرَ في النفسِ والوجدانِ تأثيراً بالغاً، ويخلقُ نوعاً من الطمأنينةِ والسَّكينةِ أثناءَ سماعِها، وهذا الأمرُ يلفتُ الانتباهَ أكثرَ ويشدُّ المتلقِّي لتدبُّرِ مفاهيمِ القرآنِ وإدراكِ مقاصدِهِ.

وهناكَ تقسيمٌ للفواصلِ من حيث توافقِها واختلافِها في الوزنِ وحرفِ الرّوي، فقد قسَّمَها بعضُ العلماء إلى: المطرَّف، والمتوازي، والمتوازن، والتَّرصيع، والمتماثل[١].

❖المطرَّف: "وهو ما اتَّفقَ في حروفِ الرَّوي لا في الوزنِ"[٢]، ومثالهُ ما وردَ في قولِ اللهِ جلَّ جلالُهُ: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ{١} أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ{٢} وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ{٣} تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ{٤}**﴾[الفيل]، فالفواصلُ متَّفقةٌ في الحرفينِ الأخيرين من هذهِ الكلماتِ(الفيل، تضليل، أبابيل، سجّيل) إلا أنَّ هناكَ اختلافاً في الوزن، وهذا من شأنهِ أن يستميلَ المتلقي تبعاً لتماثلِ الحروفِ لا وزنِ الكلماتِ، ولا سيَّما أثناءَ سماعِ تلاوةِ هذهِ الآياتِ، فالنَّغمُ المنبعثُ من انسجامِ حرفِ المدِّ(الياء) معَ حرفِ اللام لهُ أثرٌ فعَّالٌ في الأسماعِ والأذهانِ، لأنَّ صوتَ اللامِ منَ الأصواتِ التَّكراريَّةِ الجانبيَّةِ التي لها وضوحٌ سمعيٌّ بارزٌ[٣]، فقدَ أشارَ استخدامُهُ في هذا الموضعِ إلى عظيمِ اهتمامِ النَّصِّ القرآنيِّ بالحروفِ المختارةِ للفواصلِ، كما أنَّ هناكَ وجوداً واضحاً للأثرِ المرتبطِ بالأوزانِ المختلفةِ لكلماتِ الفواصلِ، فلكلِّ كلمةٍ منها وزنٌ خاصٌ يعطي إيقاعاً متفرّداً يتناسبُ مع المعنى والإيقاعِ العامِّ للسُّورةِ، فالفاصلةُ تابعةٌ للمعنى، تنزلُ في موضِعها وتلائمُ موقعَها، بعيداً عن التَّكلُّفِ والقلقلةِ، وتراعي الإيقاعَ الذي هو عنصرٌ مهمٌّ في توصيلِ المعنى، ذلكَ لأنَّها تحافظُ على التَّوازنِ السِّياقيِّ والصَّوتيِّ.

كما أنَّ اختلافَ أوزانِ الكلماتِ التي شكَّلَتِ الفواصلَ، واستعمالَها على هذا النَّحوِ وتلوينَ مقاطِعِها اللفظيَّةِ، قد أثَّرَ في المعاني وأضافَ إليها قيمةً تعبيريَّةً كبرى، فكانتْ قادرةً على تصويرِ معاني هذهِ الآياتِ الكريمةِ وتمثيلِها في هيئَةٍ متجدِّدةٍ ومشاهدَ مرئيَّةٍ، وما جاءَ ههنا يبرزُ فاعليَّةَ الإيقاعِ القرآنيِّ وإعجازَهُ اللُّغويَّ في انتقاءِ مفرداتٍ مصوَّرةٍ بجرسِها، موحيةٍ بوقعِها، تسهمُ ففي تلوينِ الخطابِ القرآنيِّ بمقاماتِ السِّياقِ، ومتطلَّباتِ الحالِ، فتتدفَّقُ ألفاظُهُ في انسيابيَّةٍ، وتتواترُ جملُهُ في أريحيَّةٍ.

❖المتوازي: "وهو رعايةُ الكلمتين الأخيرتين في الوزنِ والرّوي، واشترطَ بعضُ العلماءِ ألّا يُقابلَ ما في الفقرةِ الأولى لِما في الثَّانيةِ في الوزنِ والتَّقفيةِ"[٤]، ومنهُ ما جاءَ في قولِهِ تعالى: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ{٤}النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ{٥} إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ{٦} وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ{٧}**﴾[البروج]، إذ إنَّ عدمَ التوافقِ في تركيبِ الآياتِ وعدم تقابلِ عناصرِها مع التزامِ فواصلَ لها نفسُ الوزنِ والتَّقفيةِ يولِّدُ إيقاعاً ذا حيويَّةٍ وتنوُّعٍ بعيداً عن الرَّتابةِ والتقابلِ بينَ التراكيبِ، فقد اختارَ النصُّ القرآنيُّ أن تكونَ هاتانِ الفاصلتانِ مبنيتينِ على وزنِ (فُعُول)، وعدلَ عن استخدامِ وزنِ (فاعل)، فكانتِ

---

[١] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ص1819.

[٢] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص149.

[٣] ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ص102.

[٤] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص149.

كلمةُ (قُعود) بدلاً من (قاعدون)، وكلمةُ (شُهود) بدلاً من (شاهدون)، ولهذا أثرٌ في تكوينِ الإيقاعِ الصَّوتيّ وإيصالِ الدَّلالةِ المقصودةِ، فمن النَّاحيةِ الصَّوتيَّةِ استخدُمَتْ هذهِ الصيغةُ لتُحَقِّقَ التَّوافقَ الصَّوتيَّ وتناسبَ الإيقاعَ وتلائمُ الفواصلَ السابقةَ لها، أمَّا منَ النَّاحيةِ الدّلاليَّةِ فربَّما كانَ ذلكَ للإفادةِ بأنَّ وزن (فُعول) هو وصفٌ يُطلقُ على الجماعةِ أثناءَ وقوعِ الحدثِ نفسِهِ، أمَّا وزنُ (فاعل) فهو وصفٌ للجماعةِ بعدَ انقضاءِ الحدثِ، ذلكَ لأنَّ الكفَّارَ كانوا جلوساً على الخندقِ عندما قتلوا قوماً منَ المؤمنينَ بالنَّارِ ذاتِ الوقود أي بالنِّفطِ والزِّفتِ والحطبِ، وكانوا حضوراً يشهدونَ على المؤمنينَ أنَّهم قومُ ضلالٍ[1]، فكانَ العدولُ إلى صيغةِ (فُعُول) أوفى للسِّياقِ المعنويّ، وأقومُ للنَّسقِ اللَّفظيّ، كما يُلحظُ تأخيرُ الخبرينِ (قُعود) و(شُهود) في الآيتينِ، وذلكَ لتتناسبَ الفواصلُ وتصبحَ سلسةً على نسقٍ واحدٍ في الوزن والرُّوي، فالفاصلةُ "تقومُ بدورِها في إحكامِ بناءِ الآيةِ في الشَّكلِ والمضمونِ، أو في المبنى والمعنى على حدٍّ سواء؛ لأنَّ منهجَ الآيةِ في التَّقديمِ والتَّأخيرِ والحذفِ والزيادةِ والفصلِ والوصلِ لا يقومُ على اعتباراتٍ شكليَّةٍ محضةٍ، بل يتبعُ كذلكَ المعنى فيسهمُ في إحكامِهِ أيضاً على أوثقِ وجوهِ الإحكامِ"[2]، وهذا مما يتميَّزُ بهِ النَّصُّ القرآنيُّ في حسنِ السَّبكِ للعباراتِ معَ المحافظةِ على تآلفِ الإيقاعِ الخاصِّ بالخطابِ القرآنيّ الذي يدفعُ إلى الاهتمامِ وتدبُّرِ معاني الآياتِ الكريمةِ.

❖المتوازن: "أي أن يُراعى في مقاطعِ الكلامِ الوزنُ فقط"[3]، كالفواصلِ التي وردت في قولِ العزيزِ سبحانهُ: ﴿**وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ{١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ{٢} النَّجْمُ الثَّاقِبُ{٣} إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ{٤} فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ{٥} خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ{٦} يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ{٧} إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ{٨}**﴾[الطارق]، فقد جاءت الفاصلةُ في معظمِ هذهِ الآياتِ على وزنٍ واحدٍ وهو وزن اسم الفاعل في الكلماتِ الآتيةِ: (الطَّارق، الثَّاقب، حافظ، دافق، قادر)، واختلفت في القَّفيةِ، وهذا مما يدرَجُ في الإيقاعيَّةِ الجماليَّةِ التي اختُصَّ بها النَّظمُ القرآنيُّ والتي لم تأتِ على وتيرةٍ واحدةٍ بل جاءت بتشكيلاتٍ متنوّعةٍ امتازت بها طبيعةُ النَّصِّ القرآنيّ فكانت وجهاً من وجوهِ إعجازِهِ المؤثِّرِ في النفوسِ والألبابِ، ففي هذهِ الآياتِ الكريمةِ يُقسمُ اللهُ تعالى بالنَّجم الطَّارقِ الثَّاقبِ، وسمِّيَ بالطَّارقِ لأنَّ طلوعهُ باللَّيلِ، وكلُّ ما أتى باللَّيلِ فهو طارق؛ لأنَّ اللَّيلَ يسكنُ فيهِ، والثَّقبُ هو المضيءُ، وجوابُ القسمِ أنَّ كلَّ نفسٍ عليها حافظٌ، ويذكرُ أنَّ الإنسانَ خُلِقَ من ماءٍ ذي اندفاقٍ يخرجُ بينَ الصُّلبِ والتَّرائبِ، أي أضلاعُ، صدرِهِ وقيلَ هي موضعُ القلادةِ منَ الصَّدرِ، واللهُ على إعادةِ هذا الماءِ إلى مكانِهِ لَقادرٌ، وقيلَ إنَّ اللهَ على رجعِ الإنسانِ وبعثِهِ لَقادرٌ يومَ القيامةِ[4]، ومن أوجهِ عنايةِ النَّصَّ القرآنيَّ بالفاصلةِ القرآنيّةِ أنَّهُ كانَ يوظِّفُ الصِّيغةَ الصَّرفيَّةَ توظيفاً دقيقاً ومن ذلكَ إحلالُ صيغةِ اسمِ الفاعلِ محلَّ صيغةِ اسم المفعولِ في كلمةِ (دافِق) التي هي بمعنى (مدفوق)، وجعلُ اللَّفظِ بهذهِ البنيةِ جاءَ متوافقاً معَ زنةِ الفواصلِ قبلهُ وبعدهُ، لوجودِ حرفِ المدِّ (الألف) قبلَ الحرفينِ الأخيرينِ من الكلماتِ معَ كسرِ الحرفِ قبل الأخيرِ في كلٍّ منها، ممَّا يحقِّقُ إيقاعاً جميلاً لم يكن سيتحقَّقُ لو استُخدِمَتْ كلمةُ (مدفوق)، فضلاً عن أنَّ الوصفَ بكلمةِ (دافق)

---

[1] ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م، ص642.

[2] علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: د. عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي–بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م، ص274.

[3] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص63.

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: الزَّجاج، ص311–312.

هو الأنسبُ في هذا السِّياقِ، وملائمٌ لطبيعةِ هذا الماءِ الذي لا يخرجُ إلَّا دفقاً، فكانتْ صيغةُ (فاعل) متوافقةً معَ السِّياقِ إيقاعاً ودلالةً.

ومنَ المتوازنِ أيضاً ما جاءَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ{٤} وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ{٥}**﴾[القارعة]، فالفاصلةُ في هاتينِ الآيتين جاءت على وزنٍ واحدٍ وهو وزنُ اسمِ المفعولِ في كلمتي (المبثوث) و (المنفوش)، أي إنَّها تماثلتْ في الصِّيغةِ واختلفتْ في التَّقفيةِ، إذْ جاءَتْ صيغةُ اسمِ المفعولِ كافيةً ومناسبةً في سياقِها لإيصالِ المقصدِ من الآياتِ الكريمة، وأدَّتْ دورَها في بيانِ الهيئةِ التي يكونُ عليها النَّاسُ والجبالُ يومَ القيامةِ، إذ يشبِّهُ اللهُ تعالى النَّاسَ بالفَراشِ في الكثرةِ والانتشارِ والضَّعفِ والذلَّةِ، والتَّطايرِ إلى الدَّاعي من كلِّ جانبٍ، كما يتطايرُ الفَراشُ إلى النَّارِ، وشبَّهَ الجبالَ بالعهنِ أي الصُّوفِ المصبغِ ألواناً، وبالمنفوشِ منهُ؛ لتفرُّقِ أجزائِها[١]، فكانتْ صيغةُ اسمِ المفعولِ متلائمةً مع السِّياقِ الذي جاءتْ فيهِ؛ لتفيدَ في تصويرِ أهوالِ يومِ القيامةِ وحالةِ التَّشتُّتِ والضَّعفِ التي تصيبُ النَّاسَ والجبالَ الرَّواسخَ بقوَّةٍ منَ اللهِ جلَّ جلالُهُ، كما أنَّ النَّغمَ المنبعثَ من لفظِ اسمِ المفعولِ في ختامِ الآياتِ من شأنِهِ أنْ يؤثِّرَ في الجوِّ الإيقاعيِّ والدَّلاليِّ للآياتِ، أثناءَ التِّلاوةِ والتَّرتيلِ واستقبالِ المتلقِّي لهذهِ الآياتِ، فيحيلُهُ إلى التَّفكُّرِ في معانيها وإدراكِ عظمةِ الأحداثِ الحاصلةِ يومَ القيامةِ، وهذا النَّوعَ من الفواصلِ –أي المتوازن– يُحدُثُ تنوُّعاً في فواصلِ الآياتِ ضمن السُّورةِ الواحدةِ ويأتي متناسباً معَ نسقِ الآياتِ السابقةِ أو اللاحقةِ ويضفي عليها نغماً إيقاعيَّاً متلائماً معَ السِّياقِ ومترابطاً معَ خواتيمِ السُّورةِ، حيثُ تتنوَّعُ الفواصلُ وصولاً إلى الآياتِ الأخيرةِ منَ السُّورةِ، ولهذا أثرٌ بالغٌ في إثارةِ انتباهِ المتلقي وجعلهِ متفاعلاً معَ هذا التَّنوُّعِ الجميلِ في فواصلِ الآياتِ.

❖**التَّرصيع:** "وهو أن يكونَ المتقدِّمُ من الفقرتين مؤلَّفاً من كلماتٍ مختلفةٍ، والثَّاني مؤلَّفاً من مثلِها في ثلاثةِ أشياءٍ، وهي الوزنُ والتَّقفيةُ وتقابلُ القرائنِ، قيلَ: لم يجئ هذا القسمُ في القرآنِ العظيمِ لما فيهِ منَ التَّكلُّفِ. وزعمَ بعضهم أنَّ منهُ قولُهُ تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ{١٣}وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ{١٤}**﴾[الانفطار]، وليسَ كذلكَ لوروودِ لفظةِ (إنَّ) و(لفي)في كلِّ واحدٍ منَ الشَّطرينِ، وهو مخالفٌ لشرطِ التَّرصيعِ إذ شرطُهُ اختلافُ الكلماتِ في الشطرينِ جميعاً"[٢].

"واحتجَّ آخرون بشاهدٍ أوفى شروطاً، فوطَّدوا القاعدة، وهو قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ{٢٥} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ{٢٦}**﴾[الغاشية]"[٣]، ومثلُ ذلكَ ما نجدُهُ في قولِهِ تعالى:﴿ **وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ{١١} وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ{١٢}**﴾[الطارق]، وهذا المثال كسابقيه، فالآيتان متفقتان في الوزنِ والتَّقفيةِ وتقابلِ القرائنِ، إلَّا أنَّهما خالفتا شرطاً من شروطِ التَّرصيعِ وهو اختلافُ الكلماتِ، فقد جاءت كلمة (ذات) في كلتا الآيتين، وبذلكَ قد لا يعدُّ مثالاً يستشهدُ به على التَّرصيعِ.

❖**المُتماثل:** "وهو أن تتساوى الفقرتان في الوزنِ دونَ التَّقفيةِ، وتكون أفرادُ الأولى مقابلةً لِما في الثَّانية، فهوَ بالنِّسبةِ إلى المرصَّع كالمتوازنِ بالنسبةِ إلى المتوازي"[٤]، وقد تبيَّنَ أنَّ هذا النَّوعَ منَ الفواصلِ القرآنيَّةِ لم يردْ في جزءِ عمَّ.

علاقة الفاصلة بقرينتها:

[١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، ص421.

[٢] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص64.

[٣] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص150.

[٤] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص150.

للفاصلةِ في القرآنِ الكريمِ علاقةٌ وثيقةٌ بما قبلَها في الآيةِ القرآنيَّةِ، فليستِ الفاصلةُ مجرَّدَ توافقِ ألفاظٍ وأوزانٍ. فقد يشيرُ سياقُ الآيةِ إلى فاصلتِها إشارةً لفظيَّةً جليَّةً، وقد يظهر ذلكَ بعدَ بحثٍ وتأمُّلٍ، قالَ الزركشي: "اعلمْ أنَّ المواضعَ التي يتأكَّدُ فيها إيقاعُ المناسبةِ مقاطعَ الكلامِ وأواخرَهُ وإيقاعَ الشَّيءِ فيها بما يُشاكلُهُ، فلا بدَّ أنْ تكونَ مناسبةً للمعنى المذكورِ أوّلاً وإلَّا خرجَ بعضُ الكلامِ عن بعضٍ"[1].

إنَّ العلاقةَ بينَ الفاصلةِ وقرينتِها أربعةُ أشياء: التَّمكين، والتَّوشيح، والتَّصدير، والإيغال[2].

- التَّمكين: "وهو أنْ يُمهَّدْ للفاصلةِ تمهيداً تأتي بهِ الفاصلةُ ممكَّنةً في مكانِها، مستقرَّةً في قرارِها، مطمئنَّةً في موضعِها، غيرَ نافرةٍ ولا قلقةٍ، متعلّقاً معناها بمعنى الكلامِ كلِّهِ تعلُّقاً تامّاً، بحيث لو طُرحت لاختلَّ المعنى واضطربَ الفهمُ"[3]، فالفاصلةُ لا تأتي لمجرَّدِ إغناءِ الإيقاعِ والنغمِ؛ بل إنَّها تتَّصِلُ بالمعنى اتِّصالاً وثيقاً، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ{٨} الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{٩}**﴾[البروج]، فالفاصلةُ الأولى هنا متمثِّلةً بكلمةِ (حميد) التي جاءَت مناسبةً لموقعِها وملائمةً لما ذُكِرَ قبلَها في الآيةِ، لأنَّ المشركينَ ما عابُوا منَ المؤمنينَ وما أنكروا إلَّا الإيمان، ثمَّ ذُكرَتْ الأوصافُ التي يستحقُّ اللهُ بها أن يُؤمَنَ بهِ ويُعبَدَ، وهوَ كونُهُ عزيزاً غالباً قادراً يُخشى عقابَهُ، حميداً مُنعماً يجبُ لهُ الحمدُ على نعِمِهِ ويرجى ثوابُهُ، أمَّا الفاصلةُ الثَّانيةُ فقد تمثَّلتْ بكلمةِ (شهيد) التي جاءت مستقرَّةً في مكانِها يتوقعُها القارئُ للآيةِ بناءً على ما سبقَ ذكرهُ بأنَّ اللهَ مالكُ السمواتِ والأرضِ وكلِّ ما فيهما، وتحقُّ عبادتُهُ والخشوعُ لهُ تقريراً، فهو الحقُّ الذي لا ينقمُهُ إلَّا مبطلٌ منهمكٌ في الغيّ، وأنَّ النَّاقمينَ أهلٌ لانتقامِ اللهِ منهم بعذابٍ لا بعدلُهُ عذابٌ، وهو عالمُ بكلِّ شيءٍ وشهيد، وهذا وعيدٌ لهم، يعني أنَّ اللهَ عَلِمَ ما فعلوا وهو مُجازيهم عليهِ[4]، فالفاصلةُ "لم تقتصِرْ على مراعاةِ حسنِ النَّظمِ فقط وإنَّما راعتْ معَ ذلكَ –وقبلهُ– جانبَ المعنى، فحقَّقتْ بذلكَ إيقاعَها الفريد، وبلاغتَها العليا في مطابقتِها لمضمونِ ما قبلِها"[5].
- التَّصدير: "وهو أنْ تكونَ لفظةُ الفاصلةِ بعينِها تقدَّمتْ في أوَّلِ الآيةِ"[6]، وقيلَ: هو ثلاثةُ أقسامٍ[7]:

الأوَّلُ: توافقُ آخرِ الآيةِ وآخر كلمةٍ في الصَّدرِ: كقولِهِ تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ{٦}**﴾[النازعات]، إذْ توافَقَتْ آخرُ كلمةٍ في الصَّدرِ وهي (ترجفُ) مع آخرِ كلمةٍ في الآيةِ وهي (الرَّاجفة)، وهذا التَّوافقُ بينهما حاصلٌ نتيجةَ الاشتقاقِ الصَّرفيّ، إذ إنَّ (الرَّاجفة) هي اسمُ الفاعل ممن الفعلِ (ترجفُ)، والمقصودُ من قولِهِ جلَّ جلالُهُ: أي تتحرَّكُ حركةً شديدةً، والرَّاجفةُ هي النَّفخةُ الأولى التي يموتُ معها جميعُ الخلقِ[8]، فعندَ قراءةِ هذهِ الآيةِ وسماعِ الإيقاعِ المُخيفِ النَّاتجِ عن تكرارِ الحروفِ بسببِ الاشتقاقِ، والذي يوحي بهولِ هذا الحدثِ وشِدَّتِهِ، ويجعلُ المتلقي في حالةِ ذهولٍ وخشوعٍ إزاءَ التَّفكيرِ في أحداثِ يومِ القيامةِ وإدراكِ هذا المشهد بقوَّتِهِ وعظمتِهِ، وقولهِ سبحانهُ: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي**

---

[1] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص65.

[2] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ص616.

[3] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص286.

[4] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، ص349.

[5] دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب–القاهرة، ط1، 1421هـ، 2001م،78.

[6] الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص289.

[7] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ص1817.

[8] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: الزَّجاج، ج5، ص278.

ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ{٢٦}﴾[المطففين]، إذْ توافَقَتْ آخرُ كلمةٍ في الصَّدرِ وهي (يتنافس) معَ آخرِ كلمةٍ في الآيةِ وهي (المتنافسون)، فالتَّوافقُ حاصلٌ هنا بإتباعِ الفعلِ (تنافسَ) باسمِ الفاعلِ المشتقِّ منهُ وهو (المتنافسون).

الثَّاني: توافقُ آخرِ الفاصلة وأوَّلُ كلمةٍ في الصَّدرِ: على نحو ما جاءَ في قولِهِ تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ{١}**﴾[المسد]، فالتَّوافُقُ حاصلٌ بينَ أولِّ كلمةٍ في الصَّدرِ وهي (تبَّت) وآخرِ كلمةٍ في الآيةِ وهي (تبَّ).

الثَّالث: أن توافقَ الفاصلةُ بعضَ كلماتِ الصَّدرِ: على نحو ما وردَ في قولِهِ سبحانُهُ: ﴿**ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً{٢٦}**﴾[عبس]، إذْ جاءَتْ إحدى كلمات الصَّدرِ وهي (شقَقْنا) متوافقةً معَ آخرِ كلمةٍ في الآيةِ وهي (شقّاً) التِّي هي مصدرٌ للفعلِ السَّابقِ لها، وجاءَ هذا المصدرُ في موضعِ المفعولِ المطلقِ الذي هو تطوُّرٌ صوتيٌّ دلاليٌّ يهدفُ إلى توكيد الفعلِ وبيانِ نوعِهِ، إذْ أفادَ الاشتقاقُ في هذا الموضوعِ تأكيدَ المعنى وتمكينِهِ في ذهنِ المتلقِّي؛ لأنَّ ورودَ الفعلِ مع المفعولِ المطلقِ الذي من جنسِهِ يُحدِثُ تأثيراً صوتيّاً يُؤثِّرُ في الإيقاعِ الذي منْ شأنِهِ أنْ يكونَ حاملاً للمعنى أو موصلاً لهُ، إذْ بينَّ نوعَ هذا الفعلِ بأنَّهُ شقٌّ للأرضِ بما يخرجُ منها منَ النَّباتِ بقدرةٍ من اللهِ جلَّ جلالُهُ، وقولِهِ تعالى: ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ{٥}**﴾[الفلق]، إذْ جاءَتْ إحدى كلمات الصَّدرِ وهي اسم الفاعلِ (حاسد) متوافقةٌ مع فعلِهِ الواردِ في آخرِ الآيةِ وهو (حَسَدَ).

وفي هذا النَّوعِ من الفواصلِ –أي التَّصدير–خَلْقٌ لإيقاعٍ جميلٍ يسخِّرُهُ الخطابُ القرآنيُّ لتأديةِ الغرضِ الدينيّ المقصودِ، وذلكَ من خلالِ توظيفِ الاشتقاقِ لإغناءِ البنيةِ الإيقاعيَّةِ للخطابِ القرآنيّ، وجعلِهِ وسيلةً لمجانسةِ الفواصلِ معَ آياتِها، فورودُ كلمتينِ في الآيةِ لهما أصلٌ اشتقاقيٌّ واحدٌ، يسهمُ إسهاماً فاعلاً في التَّأثيرِ في المتلقِّي وتمكينِ المعنى في ذهنِهِ لتتحقَّقَ الاستجابةُ، فالإنسانُ بطبيعتهِ يميلُ إلى الخطابِ الفنِّيّ المؤثِّرِ بإيقاعِهِ، إذْ يُبرزُ الإيقاعُ الإعجازَ الصَّوتيَّ للقرآنِ؛ فقد جاءَ "على هيئةٍ خاصَّةٍ من جهةِ البناءِ الصَّوتيّ، أو التَّشكيلِ الصَّوتيّ لألفاظِهِ، أو على المستوى الموسيقيّ أو الإيقاعيّ في السُّورةِ بأسرِها، ومدى موافقةِ ذلكَ واتِّساقِهِ وتواؤمِهِ مع المعاني والمقاصدِ التي تقصدُ إليها السُّورةُ، على نحوٍ منَ المواءَمةِ والمُطابقةِ العجيبةِ التي يُستبعَدُ وقوعُها في مثلِ كلامِ البشرِ بهذهِ الدَّرجةِ من الموافقةِ والمواءَمةِ لمعاني الكلامِ"[١].

- التَّوشيح: "يُسمَّى هذا النَّوعُ بالتَّوشيحِ لأنَّ الكلامَ نفسَهُ يدلُّ على آخرِهِ، نزَّلَ المعنى منزلةَ الوشاحِ، ونزَّلَ أوَّلَ الكلامِ وآخرَهِ منزلةَ العاتقِ والكشحِ، ولهذا قيلَ فيهِ: إنَّ الفاصلةَ تُعلَمُ قبلَ ذكرِها"[٢]، وربَّما اختلطَ التَّوشيحُ بالتَّصديرِ لكونِ كلٍّ منهما صدرُهُ يدلُّ على عجزِهِ، ولهذا كانَ التفريقُ بينهُما في أنَّ دلالةَ التَّصديرِ لفظيَّةٌ، ودلالةَ التَّوشيحِ معنويَّةٌ[٣]. معنويَّةٌ[٣]. وذلكَ كقولِ المولى تباركَ وتعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُم{٦} فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ{٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ{٨}**﴾[الزلزلة]، فقد أفادَ التَّوشيحُ في قولِهِ تعالى: (يصدُرُ النَّاسُ أشتاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُم) في العلمِ بالفاصلةِ وتوقُّعِها قبلَ ذِكرِها، لأنَّ النَّاسَ عندما يصدرونَ إلى مواقفِ الحسابِ فِرقاً وأصنافاً فإنَّما الغايةُ من ذلكَ هي رؤيةُ جزاءِ أعمالِهم وأفعالِهم في الدُّنيا، فقدْ دلَّ أوَّلُ الكلامِ على آخرِهِ دلالةً معنويةً، فَعُلِمَتْ الفاصلةُ من الكلامِ السَّابقِ لها وفُهِمَتْ قبلَ أن تُذكرَ لفظيّاً، فعندَ قراءةِ عبارة (يصدرُ النَّاسُ أشتاتاً) تتبادرُ إلى

[١] الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: عبد الحميد الهنداوي، الدار الثقافية للنشر–القاهرة، ط1، 1325هـ، 2004م، ص13.

[٢] الفاصلة في القرآن: الحسناوي: ص290.

[٣] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ص1818.

الذهنِ فكرةُ انقسامِهم ليروا أعمالهم وينالوا جزاءهم، فعملُ النَّاسِ قسمان إمَّا خيرٌ إمَّا شرٌّ، والجزاءُ نوعان، فإنْ كانَ العملُ صالحاً ينالُ صاحبُهُ أجراً وثواباً، وإن كانَ عملاً سيئاً يلقى صاحبُهُ العقاب، وهنا يُلحظُ وجودُ أثرٍ جميلٍ للتَّضادِّ والتَّقابلِ في المعنى بينَ أصحابِ الخيرِ وأصحابِ الشَّرِ، إذْ يُتيحُ مجالاً أمامَ المتلقِّي ليتفكَّرَ في هذينِ القسمينِ ومصيرِ كلٍّ منهما، فيُعمِلُ عقلَهُ من المقارنةِ بينهما، وهذا من شأنِهِ أنْ يدفعَهُ إلى اتِّباعِ طريقِ الخيرِ وإيجادِ سُبُلِهِ، والتزامِ الأفعالِ الصَّالحةِ التي سينالُ ثوابَها خيراً عند اللهِ، والابتعادِ عن طريقِ الشرِّ فهو طريقُ العقابِ والعذابِ.

- الإيغال: وسمِّيَ بذلكَ لأنَّ "المتكلِّمَ قد تجاوزَ المعنى الذي هو آخذٌ فيهِ، وبلغَ إلى زيادةٍ على الحدِّ يُقالُ: أوغلَ في الأرضِ الفلانيَّةِ إذا بلغَ منتهاها فهكذا المتكلِّمُ إذا تمَّ معناهُ ثمَّ تعداهُ بزيادةٍ فيهِ فقد أوغلَ"[1]، أي إنَّ معنى الإيغال هو أنْ تردَ الآيةُ بمعنىً تامٍّ، وتأتي فاصلةُ الآيةِ بزيادةٍ في ذلكَ المعنى، ومن أمثلةِ الإيغالِ في جزءِ عمَّ قولُهُ تعالى: ﴿**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ{٤} وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ{٥}**﴾[البينة]، فالمعنى هنا قد تمَّ بأنَّ الله أمرَ النَّاسَ بعبادتِه وإقامةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ وهذا معروفٌ أنَّهُ السلوكُ الصَّالحُ القويم، ولكنْ ذُكرتْ الفاصلةُ بقولِهِ تعالى(وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) لِيُعلَمَ بها تمامُ الكلامِ وزيادةٌ عليهِ لتأكيدِ ما سبقَ ذكرُهُ سابقاً، وهذا لهُ بالغُ الأثرِ في إفهامِ مقاصدِ الآيةِ، فالمقصودُ من قولِهِ سبحانهُ: أي ما تفرَّقوا في ملكِهم وكفرِهم بالنَّبيِّ (ص) إلَّا من بعدِ ما تبيَّنوا أنَّهُ الذي وُعِدوا بهِ في التَّوراةِ والإنجيلِ، وأُمروا بعبادةِ اللهِ موحِّدينَ لهُ لا يعبدونَ معهُ غيرَهُ ، والإيمانِ بنبيِّ اللهِ مُحَمَّد (ص)، والتزامِ دينِهِ وإقامةِ شرائِعِهِ، فهو دينُ الأمَّةِ القيمةِ بالحقِّ، فيكونُ ذلكَ دينُ المِلَّةِ المستقيمةِ[2].

ومنَ الإيغالِ ما وردَ في قولِ اللهِ جلَّ جلالُهُ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ{٦} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ{٧}**﴾[البينة]، فإنَ المعنى قد تمَّ بوصفِ الكفارِ والمشركين، ولكن جاءتِ الفاصلةُ إتماماً وتأكيداً لما ذُكِرَ قبلها بأنَ هؤلاء هم شرُّ البشرِ، وكذلكَ نلحظُ الأمرَ ذاتَهَ في وصفِ المؤمنينَ والصَّالحينَ وهذا المعنى واضحٌ وتامٌّ، ثمَّ جاءتِ الفاصلةُ لتزيدَ المعنى وضوحاً وحُسناً وتفصيلاً بأنَّ هؤلاء هم خيرُ البشرِ.

كما أنَّ المتأمِّلَ في سورِ القرآنِ الكريمِ، المتدبِّرَ لمعانيهِ والمتمعِّنَ في أسرارِهِ قارئاً كانَ أم مستمعاً، يدركُ مدى علاقةِ الإيقاعيَّةِ الملازمةِ لفواصلِ القرآنِ بالجوِّ الدَّلاليِّ العامِّ للسُّورةِ الكريمةِ، تبعاً لِما تستدعيهِ الحالةُ النَّفسيَّةُ للمخاطبينَ ومواقفهم، واختلافُ المناسباتِ والموضوعاتِ، ففي سورةِ (البيِّنةِ) يُلحَظُ وجودُ توافقٍ إيقاعيٍّ ودلاليٍّ بينَ اسمِ السُّورةِ و فواصلِ الآياتِ فيها وهي(البيِّنة، القيِّمة، البريَّة)، فالتَّوافقُ الإيقاعيُّ ناتجٌ عن تقاربِهم في الوزنِ والتَّقفيةِ، مما يُحدثُ إيقاعاً جاذباً يستميلُ المتلقِّي للإدراكِ معنى هذهِ الكلماتِ وربطِها مع بعضِها للوصولِ إلى توافقِها الدَّلاليِّ، فالبيِّنةُ هي الحجَّةُ الواضحةُ التي جاءتْ قيِّمةً أي مستقيمةً ناطقةً بالحقِّ والعدلِ، والتي نزلتْ على البريَّةِ كافةً أي أنَّها نزلتْ على النَّاسِ أجمعين، فمنهم من آمنَ وكانَ من خيرِ النَّاسِ، ومنهم مَن أنكرَ وكانَ من شرِّ النَّاسِ، وقد حقَّقَ هذا التَّناسبُ والتَّوافقُ إغناءً للسِّياقِ الإيقاعيِّ والدَّلاليِّ للسُّورةِ.

---

[1] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص77.

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، ج5، ص350.

الخاتمة

لقدْ تبيَّن من خلالِ دراسةِ الفواصلِ القرآنيَّةِ في سورِ جزءِ (عمَّ) مدى تنوُّعها واختلافِها حتى ضمنَ السُّورةِ الواحدةِ، إذ تمَّ استقراءُ بعضِ الشَّواهدِ المنتقاةِ بما يخدمُ هذا البحثَ ويوفِّرُ لهُ مادَّةً كافيةً للدِّراسةِ، فبرزت من خلالِ الدِّراسةِ أهمِّيَّةُ الفاصلةِ وجمالُها من النَّاحيةِ الإيقاعيَّةِ، وذلكَ بما تحدثُهُ من تناغمٍ صوتيّ أثناءَ القراءةِ المرتَّلةِ والأداءِ الصَّحيحِ لتلاوةِ الآياتِ الكريمةِ، كما أنَّها تؤثِّرُ في إحكامِ انسجامِ الآياتِ ممَّا ينتجُ جرساً صوتيّاً تستلذُّهُ النَّفسُ ويهتزُّ لهُ الوجدانُ، ولهذا دورٌ من تسهيلِ حفظِ سورِ هذا الجزءِ ولا سيَّما أنَّ معظمَها سورٌ قصيرةٌ، كما أبرزَ هذا البحثُ كيفَ يجمعُ الأسلوبُ القرآنيُّ بينَ القصدِ في اللفظِ والوفاءِ بحقِّ المعنى؛ إذ إنَّ للفاصلةِ علاقةً وثيقةً بمضمونِ الآيةِ القرآنيَّةِ، وهذا يتحقَّقُ بالنظرِ إليها كونها كلمةٌ ذات مدلولٍ لغويّ خُتِمَت بها الآياتُ، فالفاصلةُ في سورِ جزءِ (عمَّ) أدَّتْ دورها في إبلاغِ الرسائلِ المقصودةِ، حيثُ تماهَتْ جلُّ هذهِ الفواصلِ مع فحوى الآياتِ الكريمةِ، وتوافقت الفاصلةُ مع المعنى الذي سيقت لهُ، ولكن منها ما يظهرُ بسهولةٍ ويسرٍ، ومنها ما يُستخرجُ بالتَّأملِ والتَّدبُّرِ، ولهذا كانَ إيقاعُ الفواصلِ في جزءِ (عمَّ) يتنوَّعُ حسبَ مقامِ الآياتِ وموضوعِها، فمرَّةً كانَ إيقاعُها قويّاً شديداً، ومرَّةً هادئاً ليِّناً، ومرَّةً لاذعاً للوجدانِ ومقلقاً للقلوبِ، وأخرى باعثاً للخشوعِ، وداعياً للتَّأملِ والاستسلامِ والانقيادِ، وهكذا كانتْ سورُ جزءِ (عمَّ) بتشكيلاتِ فواصِلها مترابطةَ النَّظمِ والمعاني، شأنُها في ذلكَ شأنُ غيرها من السُّورِ القرآنيَّةِ.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن: الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد-السعودية، ج5، د ت.

٢- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها -مصر، د ت.

٣-الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: عبد الحميد الهنداوي، الدار الثقافية للنشر-القاهرة، ط1، 1325هـ، 2004م.

٤-إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر-القاهرة، ط3، 1971م.

٥- البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث-القاهرة، 1427هـ، 2006م.

٦- البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو الداني، تح: د. غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق-الكويت، ط1، 1414هـ، 1994م.

٧-تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم للطاعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1420هـ، 2000م.

٨-تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تح: أحمد عبد العليم البردوني، راجعهُ: علي محمد البجاوي، الدار المصريَة للتأليف والترجمة- القاهرة، ج12، 1384هـ-1964م.

٩–تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م.
دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب–القاهرة، ط1، 1421هـ، 2001م.
١٠–علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: د. عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي–بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م.
١١–فقه اللغة المقارن: د. إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين– بيروت، ط2، 1978م.
الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار للنشر والتوزيع–عمان، ط2،1421 هـ، 2000م.
١٢–لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر–بيروت، مج11، د ت.
١٣–المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي–القاهرة، ط2، 1405هـ، 1985م.
١٤–معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري الزَّجاَّج، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب–بيروت، ج5، ط1، 1408هـ، 1988م
١٥–معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتوزيع– دمشق، سوريا، مج15، ج4، 1979م.
١٦–النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني، تح: محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف–مصر، ط3، 1975م.

المجلات والدوريات

١– التراث العربي: الفاصلة القرآنية وجماليتها في القرآن الكريم: أ. محمد حرير، مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب –دمشق، العدد 9–100، تشرين الأول 2005م.